

جذور إرهاصات الطب النفسي الإيقاع المحيوي التطوري (من الإبداع الخاص)
الفصل الثامن "بسمه قنديل" رواية "مدرسة العراة"



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان" 2018/07/08

السنة الحادية عشرة - العدد: 3963

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

مقدمة

نواصل اليوم نشر فصول رواية "مدرسة العراة" (1) تباعا في هذه الأيام الثلاث (السبت/الأحد/الأثنين من كل أسبوع) وهي الجزء الثاني: من ثلاثية "المشى على الصراط".

وهذا هو الفصل الثامن صورة بسمه قنديل

"بسمه قنديل"

-1-

- ماله يا ابنتي؟، عريس لقطه.

= لا اعتراض لى عليه ولكنى لا أريد "هذا".

- هذا..ماذا؟، أريد أن أطمئن عليك قبل أن أموت، أنا صاحبة مرض، وأنت تعلمين.

= إطمئنى يا أمى، أنا أعرف طريقى.

- ما هذا الكلام يا ابنتي؟، أنت بنت متى؟، أنت لا تعجيبينى هذه الأيام، كأنك تحملين هم الدنيا على

رأسك يا روح قلب أمك.

= مادام فى الدنيا هم يا أمى، فلا بد أن يحمله أحد،

- ماذا تقولين يا ابنتى، خل الهم لأصحابه، أنت شابه، وأمالك العمر كله.

= وأنت يا أمى؟،

- أنا انتهيت والحمد لله،

= انتهيت من ماذا؟

- من واجبى نحوكم، أريد أن أطمئن عليك، بسمتى آخر العنقود، ثم يتذكرنى الذى لا ينسى .

= كلامك يقطر مرارة يا أمى.

- استغفر الله ماذا بك يا ابنتى؟

= عاجزة عن مساعدتك.

- نعم؟، نعم؟، من الذى يساعد من؟، الله يسامحك، أنت بسمتى يا حبيبتى،

= أنا بسمتك، وأنت شقائى،



أمى هذه لم تسعد أبدا،
كثلة من الشقاء تتحرك،
ترشو أبى بالمديح والتأليه
والطاعة طول النهار حتى
يعفوها من مطالبته ليلا،
وجها ما زال ينبض بالحياة
بالرغم من كل شيء، وراء كل
تعجيد أهدود من الألم
والحسرة، شعرها ناصع
البياض يذكرها بالنهاية،
ولكن مشيتها الريفية تمضى
فى قفز مستمر تتحدى.

- اللهم اخزك يا شيطان، ماذا تقولين؟، كل هذا حتى لا تقبلي ذلك الشاب اللقطة.

= وأنت؟ ... لقد تزوجت زين الرجال،

- الحمد لله.... ربنا يطول عمره، ماذا جرى لك؟، هل يصل الأمر إلى لمز أبيك؟، لا.... لست أنت بسمة.

= أنا آسفة، ولكنى لن أقبل هذا أبدا.

- هذا ماذا؟، ماله يا ابنتي؟ شاب مستور، أعرف عمته منذ كنا في مدرسة المعلمات معا، وهو من عائلة فاضلة تعرف الأصول،

= أتركيني الآن يا أمى ... الله يخليك،

- سبحان الله.... أنت حرة، سوف تتدمنين.

وأنت يا أمى ألا تتدمنين؟، أنا أشبهِهُك وأخاف منك، أخاف أن ينتهى أمرى إلى ما أنت فيه

الآن، لم أرك فى حياتى تشعرين بشئ لك، لك أنت، أنت لا تقولين قولا من داخلك أبدا، شقاؤك يتحرك

فى كل مكان، يوهمك ويوهمنا أن الحياة تسير، يارب ماذا أفعل لها، يارب لم جعلتلى أرى الآن

هكذا،.... كان مجرد حديث عابر بينها وبين أختى المتزوجة، أمى هذه لم تسعد أبدا، كتلة من الشقاء

تتحرك، ترشو أبى بالمديح والتأليه والطاعة طول النهار حتى يعفيها من متطلباته ليلا، وجهها مازال

ينبض بالحياة بالرغم من كل شئ، وراء كل تجعيدة أخدود من الألم والحسرة، شعرها ناصع البياض

يذكرها بالنهاية، ولكن مشيتها الريفية تمضى فى قفز مستمر تتحدى.

لماذا لم تستسلم بعد؟، لماذا تصر بالرغم من مقاومتها أن أكرر نفس مأساتها؟، هل تريد أن تطمئن

على أنه ليس هناك حل آخر؟، إننى أعتقد أنها تعى تماما بؤسها وشقاءها فلماذا تصدّره إلى أعز الناس

إليها على حد قولها، لماذا تصدّر ما فشلت فيه...؟، كل تصرفاتها وطريقة انتقائها تؤكد الفشل، سمعتك

يا أمى وأنت تقولين لأختى فى صدق حكيم بائس إن المرأة هى الأولاد والبيت وراحة الزوج، وأن

على أختى أن تقفل أذنيها ومشاعرها عما عدا ذلك، هل وظيفتك يا أمى بعد طول هذا الكفاح أن

توزعين اليأس بالتساوى؟، ياليتك قلت هذا الكلام وأنت تلبسين قناع البلادة والاستسلام مثل خالتي أم

حسين، أو جارتنا الست جلييلة، أو حتى مذييعات التلفزيون، أنت غير كل هؤلاء، أنت دائمة الحركة

دائمة الحديث دائمة الشجار عظمية الشقاء، ثم تصرين على تكرار المسرحية بنفس فصولها، تُرى

هل يداعبك أمل ما.... لا أعرفه...؟

= هل هناك أى أمل يا أمى؟

- فى ماذا يا ابنتي...؟، الله يهديك، مازال العريس يرسل المراسيل .

= لا يشغلك إلا عريس الغفلة، أنت لست معى يا أمى أصلا.

- بل أنا معك ولا يشغلى إلا هناؤك، فكّرى وهو مستعد لكل طلباتك.

= أفكر طول الوقت، ولكن فى شئ آخر.

- خير، هل هناك غيره يشغلك؟

= نعم .

- ليس لى إلا راحتك، كلمينى عنه، من هو يا ابنتي؟

= أنت، أنت يا أمى.

- أنا؟، كفى الله الشر.

= أفكر فى إسعادك طول الوقت.

لماذا لم تستسلم بعد؟، لماذا

تصر بالرغم من مقاومتها أن

أكرر نفس مأساتها؟، هل

تريد أن تطمئن على أنه

ليس هناك حل آخر؟،

إننى أعتقد أنها تعى تماما

بؤسها وشقاءها فلماذا

تصدّره إلى أعز الناس إليها

على حد قولها، لماذا تصدّر ما

فشلت فيه...؟،

لم أسمعك مرة تتحدثين مع

أبى كما يتحدث الناس.

- ماذا تقولين؟، إذن كيف

أتحدث معه؟

= لم أسمعك مرة تقولين له،

كيف حالك مثلا

- ماذا جرى لعقلك يا حبيبتي، أنا سعيدة والحمد لله .
 = تكذابين على كل الناس، ولكنك لن تكذبي على .
 - ماذا تقولين يا بسمه..؟
 = أحمل همك أكثر مما تحملين همي .
 - إذا كنت حقيقة تحملين همي فلماذا رفضت العريس؟
 = أمي.
 - روح قلبي .
 = لن أكرر مأساتك ولو أموت.
 - مأساتي!!، عن ماذا تتحدثين؟
 = عن شقائك، عن نسيانك لنفسك .
 - منك لله، أفسدتك كثرة القراءة.
 = لا تنسى أنى ابنتك، وأنى أعرف ماذا أريد، وماذا تريد؟
 - وبعد؟ ... ماذا بعد؟ إلى أين أنت ذاهبة بي؟ بنا؟
 = لا تخفى الدموع التي تطل من عينيك، فأنت لم تفلحي أن تتبلد مشاعرك أبدا.
 = بسمه، أتركيني في حالي: لا فائدة .
 - وهذا ما يقطع قلبي.
 = عن إذنك، والدك ينادى.

 كل شيء يهون إلا أن أرى أمي هكذا.

 -2-
- ذهبت إليه بعد أن سمعت من أختي عنه، كان أستاذها وتقول إنه يفهم ويحس، رحبت أستشيريه في مشكلة أمي ولكنه كان غيبا صريحا وقاسيا، لو أنه اكتفى بأن قال لا فائدة مثلما قالتها أمي، لقلت طبيب عاجز وانتهى الأمر، قلبها على رأسي وقال إنى لا أهتم بها اهتماما حقيقيا وإنما أهتم بنفسى، ليكن، ماذا يضيرنى لو أهتم بنفسى؟، ثم إنه لوح لى بأنى أنا التى ينبغى أن أعالج، لم يقلها صريحة ولكنه ألقى بطعم الأمل بشكل ما، مهما يكن من أمر، فأنا أمامى الدنيا واسعة والعمر طويل، المهم ان تذوق هى طعم الحياة قبل أن ترحل بكل هذا الشقاء وهذا الألم الطاحن.
- مالك يا ابنتى كفى الله الشر؟
 = أفكر فيك ليل نهار.
 - ثانية؟، هذا ما لا يمكن أن يستمر، لا بد أن بك شيئا هذه الأيام، ماذا جد على حتى تنصبي هذا المبكى ليل نهار، كلما سألتك عن أحوالك، قلت أفكر فيك، أفكر فيك، ماذا بك يا ابنتى يا حبيبتي؟
 = أنا ليس بى شىء، ولكنه بك أنت.
 - أستغفر الله العظيم، لا، لا لا، لقد أفرطت يا ابنتى، هذا أمر لا يمكن السكوت عليه، لعلها مصيبة من المصائب "الموضحة" التى يقرفوننا بها هذه الأيام فى التلفزيون.
 = أى مصيبة يا أمي..؟، هل عيب أن أنشغل بك؟
 - لولا الملام لذهبت بك إلى طبيب نفسانى؟

قلبي؟، إيش عرفك أنته
 بقلبي؟، إسمعى لا تدخلى
 أبالك هى الأمر، أنا ليس لى
 هى هذه الدنيا إلا العمل على
 راحتها ليل نهار

بيدو كأن هذا البرج الذى
 طار من مخي له أبراج
 صديقة تشبهه، عندك مثلا
 وعند أبى..... وعند كل
 الناس، وهو يستطيع أن يفهم
 لغتهم، وربما يحدثهم مباشرة
 من ورائى

إذا قلت لأبى، "ربنا يخليك"،
 سمعت برجك يقول "حتى
 أتشفى بانتقام الأولاد منك
 جزاء ما فعلته بى".

- = لا ملام ولا يحزنون يا أمى... لقد ذهبت إلى واحد فعلا .
- يا حسرة قلبى، لقد كنت أمزح، لماذا ذهبت؟
- = ذهبت من أجلك.
- نعم؟، نعم؟، تفضحينى بتخريفك أمام الغرباء، هل شكوت لك من شىء.
- = لا.... لم تشتك وهذه هى المصيبة، كل ما قلته له أنك لا تشتكين من شىء.
- عقلى سيطير بحق، ذهبت تقولين للطبيب أن أمى لا تشتكى من شىء، لا حول الله يا ربى.
- = ... هذا ما حدث .
- سبحان الله يا بسمه..سبحان الله ، وماذا قال لك؟
- = قال، وانت مالك (!؟)
- عين العقل.
- = ولكنه أضاف أنها مشكلتى أنا، وأنه على أن أتغير جوهرى لأتجنب مصيرك.
- مصيرى؟، ماله مصيرى الله يسامحك ويسامحه.
- = هذه ليست حياة يا أمى.
- وكيف تكون الحياة إذن يا ست بسمه...؟
- = شىء آخر، أنت الأدرى.
- أنا؟، لماذا تتكلمين بلسانى، وتحسين بجلدى، وتتألمين بمشاعرى، أكاد أصدق الطبيب أنك لا بد أن تنتبهى لما أصابك أنت فجعلك بكل هذا اليأس فى هذه السن.
- = كلما نظرت فى نفسى رأيتك أتعس.
- وما ذنبى أنا، تحشرينى بين عظمك وجلدك وتعين حياتى قبل الهنا بسنة؟،
- = أين الهناء الذى تتكلمين عنه؟
- الهناء فى الرضا والحمد لله.
- = أنت غير راضية .
- أستغفر الله العظيم، هل ينقصنا هذا الهم الذى تطحنينه ليل نهار؟
- = إن المصيبة أنه لا ينقصنا، ونحن لا نريد أن نواجهه.
- كيف نواجهه يا ابنتى؟ أنت صغيرة على هذا الكلام الكبير يا حبة عينى،
- = لم أسمعك مرة تتحدثين مع أبى كما يتحدث الناس.
- ماذا تقولين؟، إذن كيف أتحدث معه؟
- = لم أسمعك مرة تقولين له، كيف حالك مثلا.
- ما هذا الذى تقولينه؟، أنا ليس لى فى الدنيا إلا حاله.
- = لم تقولها مرة واحدة من قلبك.
- قلبى؟، إيش عرفك أنت بقلبى؟، إسمعى لا تدخلى أباك فى الأمر، أنا ليس لى فى هذه الدنيا إلا العمل على راحته ليل نهار .
- = ولكنه لم يرتح وأنت خير من تعلمين ذلك.
- أنا عملت ما على، وهذا طبعه، ولا توجد امرأة فى الدنيا تستطيع أن تعمل مثلما عملت أو تضحى مثلما ضحيت.
- = هذا هو .

إذا قلت له "أنت سيد العارفين" سمعت برجك يقول "يا جاهل يا تحى".
- أهذه آخر تربيتى فيك...
يا بنت أنت، هل تمزحين أم أنك جننت؟

إذا قلت "أنا تحب أمرك" سمعت برجك يقول "حتى أضمن سجنك فى خدماتى وتضحياتى".

ما الذى دهب بسيل الألفاظ يجره كل ما يقابله حتى تصدمت القوائم واحتل الأساس

ماذا أفعل لك يا حبيبتي يا
 أمي؟ لم أستطع أن أحتمل
 رؤية شقائك، وإذا بي أصيح
 سببا في إذكاء نار جهنمك،
 لسانك يقطر مرارة وأنت
 تقولين لأختي أنك لا تعرفين
 المتعة أصلا، ولا مرة واحدة

 ما فائدة كل هذه الهمم التي
 ألقيتها عليك وكأنني كنت
 أنتهم من استسلامك وسلبيتي،
 لن يتكرر ما حدث ما حيت،
 سوف أعيش أكثر منه بقبية
 عمري، يا رب، كعبه أعمو
 ما قلته لها، كعبه أرضيها،
 كعبه أجعلها تنسى

- ما هذا الذي هو يا بسمه، برج من مخى سوف يطير.
- = أنا برج من مخى قد طار فعلا.
- اسم الله "عليكى" وعلى "حواليكى"، ماذا جرى؟
- = وباليته طار واختفى وأراحنى، إلا أنه وقف على رأسى يضيف تعليقا ساخرا، على كل مايدور حولى .
- لا، لا ... لا، فى الأمر شئ خطير، أنا لا أفهم ما تقولينه ولكنه خطير.
- = يا أمي .. يا أمي يبدو كأن هذا البرج الذى طار من مخى له أبراج صديقة تشبهه، عندك مثلا وعند أبي،.... وعند كل الناس، وهو يستطيع أن يفهم لغتهم، وربما يحدثهم مباشرة من ورائى.
- ما هذا كله؟ ... ما هذا كله؟، يا رب لطفك.
- = استيقظت على شجارك مع أبى قبيل الفجر ذات صباح، وشعرت فجأة بما أحكيه لك الآن.
- لا تلصقيها بنا، نحن لا نتشاجر أبدا، كان تفاهما بصوت عال.
- = سمه ما تشائين، من يومها وهذا البرج الذى طار استقل وراح يمارس هواية الترجمة الفورية لما تقوله أبراجكم.
- أبراجنا؟، ماذا تقول أبراجنا؟، هل لنا أبراج دون أن ندرى؟، ماذا تقول أبراجنا؟
- = أخشى أن أقلب كيائك إذا قلت لك.
- لقد قلبته والذى كان قد كان.
- = أسمع "برجك" يقول شيئا آخر غير ما تقولينه لأبى.
- شيئا آخر؟، ماذا يقول "برجى" من ورائى يا ست بسمه؟
- = تصرين أن تعرفى.
- ماذا فى هذا؟، طبعا أحب أن أعرف ما يدور.... الله!!
- = أخشى أن تخل الأُمور، لو عرفت.
- قولى لى، وما يحدث يحدث.
- = دعيني وشأنى، اعتبرى كل ذلك مداعبة، كنت أضحك معك.
- لا يا شيخة!!... حدثنى الله يهديك.
- = هل تتحملين ولا تغضبين؟
- طبعا، أريد أن أعرف.
- = إذا قلت لأبى، "ربنا يخليك"، سمعت برجك يقول "حتى أتشفى بانتقام الأولاد منك جزاء ما فعلته بي".
- يا نهار أسود.
- = وإذا قلت له "أنت سيد العارفين" سمعت برجك يقول "يا جاهل يا غبي".
- أهذه آخر تربيتى فيك... يا بنت أنت، هل تمزحين أم أنك جننت؟
- = وإذا قلت "أنا تحت أمرك" سمعت برجك يقول "حتى أضمن سجنك فى خدماتى وتضحياتى".
- كفى كفى كفى يا بسمه، سلامتك يا ابنتى ألف سلامة، هذا تخريف رسمى، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، اسم النبى حارسك وضامنك، لا بد أن تذهبي إلى الطبيب فورا.. فورا.
- = ولكنى لا أشكو من شئ يا أمى، كل ما فى الأمر أنى رأيت شقائك رأى العين.
- شقائى، مالك أنت وشقائى؟، لقد حدث لعقلك شئ والذى كان قد كان، استغفر الله العظيم، إرحم

يا من ترحم، لابد من الطبيب ، لا بد من طبيب.
= قلت لك أنى ذهبت، ولكن من أجلك أنت، وقد قال لى "إنه لا شأن لك بها، أنت التى تحتاجين للمساعدة".

- هذا هو؟، هذا طبيب ناصح، وعرف أنك أنت التى تخرفين،

= ... أمى يا حبيبتى؟

- حبيبة ماذا ونيلة ماذا، حاسبى على نفسك ولا تستمرى هكذا، بعيد الشر عنك ألف مرة.

= الشر ليس بعيدا يا أمى، الشر فى داخلنا يطحننا، الشر هو الجبن والنفاق، أنا لم أخلقه من عندى، أنا أعلنته ليس إلا.

- الله يسامحك، كان الله فى عونك، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

= كان الله فى عونى أنا؟

- من أين يارب أرسلت لنا كل هذا البلاء؟

=

- خير يا بسمة لماذا سكت؟

= ...

- بسمة يا ابنتى فيم سرحت..؟

= آسفة يا أمى آسفة، كنت أمزح فعلا وزادت منى حبتين، أرجو أن تنسى كل ما كان، هل هذا

معقول أن أعرف شيئا من داخل أى بشر، كانت لعبة أثيرك بها وطالت منى بالرغم عنى، آسفة يا أمى آسفة، سأذهب من فورى.

-3-

ما هذا الذى فعلت؟ ما الذى دفع بسيل الألفاظ يجرف كل ما يقابله حتى تصدعت القوائم واختل الأساس، هذه أمى حبيبتى، ما هذا الذى فعلته بها؟ قلبت كيانها رأسا على عقب ولم تنفع كل ترابعاتى واعتذاراتى!! ماذا أفعل لك يا حبيبتى يا أمى؟ لم أستطع أن أحتمل رؤية شقائك، وإذا بى أصبح سببا فى إنكاء نار جحيمك، لسانك يقطر مرارة وأنت تقولين لأختى أنك لا تعرفين المتعة أصلا، ولا مرة واحدة، كنت تتصحنيها أن تكون مثلك حتى تعيش وتتستر، هأنذا أنصحك ألا تكونى مثلها، أنت ما زلت أكثر حياة وإحساسا منها، أنا جئت أكلها أعميتها، أنا مجرمة ولن أغفر لنفسى ما حبيت، قال لى الطبيب لا فائدة، وقد قلتها أنت مرارا قبل ذلك، فما فائدة كل هذه الحمم التى ألقيتها عليك وكأنى كنت أنتقم من استسلامك وسليبتى، لن يتكرر ما حدث ما حيت، سوف أعيش أكره عنه بقية عمرى، يا رب، كيف أمحو ما قلته لها، كيف أرضيها، كيف أجعلها تنسى، هل أتمادى فى تصنع الخبل حتى تطمئن أن ما قلته لا يعدوا أن يكون مزاحا فعلا، أو تخريفا عابرا، ولكنها أذكى من أن تصدقنى، و ليس أمامى إلا إعلان الهزيمة واتقان دورى المفروض فى هدوء وصبر أقتل أكره عن ما فعلت فلأقبل عريس الغفلة، هذه قسمتى وقسمتها، إذا كنت لا أستطيع أن أرفع عنها الظلم، فلأشاركها فيه، ولتسقط كل محاولات الحياة.

= أنا موافقة يا أمى.

- على ماذا يا ابنتى؟

= على الخطيب، ابن أخى صديقتك.

- أبدا، لن يكون ما دمت حية.

هل أتمادى فى تصنع الخبل حتى تطمئن أن ما قلته لا يعدوا أن يكون مزاحا فعلا، أو تخريفا عابرا، ولكنما أذكى من أن تصدقنى، و ليس أمامى إلا إعلان الهزيمة واتقان دورى المفروض فى هدوء وصبر أقتل أكره عن ما فعلت فلأقبل عريس الغفلة

لقد أيقظتني هي أملأ لم أستطع أن أحققه، فلتحققه أنت... أنا أحس أن هذا الطبيب يعرفه الطريق، هذا كل ما هنالك

- = ماذا جرى لك يا أمى؟، كنت تلحين على ليل نهار .
- غيرت رأيى .
- = ماذا جرى يا أمى؟ أنا أطلب رضاك وأعلم أن هذا يسعدك .
- لم يعد يسعدنى .
- = ماذا جرى؟ بالله عليك؟
- تُعالجين أولاً .
- = أعالج من ماذا؟، لقد كنت أمزح وانتهى الأمر .
- حتى ولو كان حلماً وليس مزاحاً، فلن أتعسك بيدي، لا يمكن أن يحدث هذا ما دمت حية .
- = تتعسيننى؟ تقولين إنه من أحسن الشباب .
- كان زمان .
- = ماذا جرى له فى يومين، لقد كنت تعددين ميزاتة أول أمس .
- أول أمس أصبح "زماناً" الآن، ونحن أبناء هذه اللحظة .
- = تتقلب الأمور هذه الأيام بسرعة، حتى معك يا أمى .
- أدفع عمرى وتعالجين يا ابنتى .
- = أعالج من ماذا بالله عليك؟
- لست أدرى .
- = تحسبيني مجنونة؟
- أبدا والله، خطر هذا خاطر على عقلى فترة ولكنى تأكدت بعدها من خطئى،، هذه رؤية من حَقك، والطبيب يمكن أن يساعدك .
- = إذن مم أعالج؟، من صدق الرؤية؟ أعالج بحبوب "طمس الرؤية"؟ ثم إنى أكرر لك أنى كنت أمزح.... ليس لدى ما أقوله إلا ما قاله الطبيب
- يا بسمة، لقد أيقظت فى أملا لم أستطع أن أحققه، فلتحقيقه أنت،... أنا أحس أن هذا الطبيب يعرف الطريق، هذا كل ما هنالك .
- = وأنت يا أمى؟
- إسألنى طبيبك .
- = ليس طبيبك بعد، أنا لم أقرر الذهاب .
- أسألينه حين تذهبين، وسوف تفعلين من أجل خاطرى، وإن أشار عليك أن أذهب فلسوف أذهب دون تردد .
- = لقد قال إنه لا فائدة .
- لا فائدة من حالتى أنا وليس منك؟، هو طبيب ماهر ما فى ذلك شك، خذى فرصتك إذن .
- = أنا بخير يا أمى، لا عليك .
- أنت تعرفين كل شئ يا ابنتى، لا تخدعى نفسك
- = أخشى يا أمى أن يصحو فى نفسى أمل يشقىنى، ويشقىك أكثر .
- لقد صحا والذى كان قد كان، فإما أن تحققه وإما أن تقتليه، الطبيب سوف يساعدك فى كل حال .
- = ومن أدراك؟
- إحساسى وكلامك عنه، يبدو أنه يعرف الطريق .

أخشى يا أمى أن يصحو فى نفسى أمل يشقىنى، ويشقىك أكثر .

- لقد صحا والذى كان قد كان، فإما أن تحققه وإما أن تقتليه، الطبيب سوف يساعدك فى كل حال

أعالج؟، أعالج من ماذا؟، من رؤية الحقيقة؟، من إحياء الأهل؟، لو كنت أسمع أصواتنا أو أرى خيالات، لو كنت أهدى أو أهيم على وجهى، كل ما هنالك أنى رأيته، ثم قلت ما رأيته وإذا بكيانها ينقلب بلا رحمة

= المهم أن أعرف أنا الطريق.

-4-

أعالجُ؟، أعالج من ماذا؟، من رؤية الحقيقة؟، من إحياء الأمل؟، لو كنت أسمع أصواتا أو أرى خيالات، لو كنت أهدى أو أهيم على وجهي، كل ما هنالك أنى رأيت، ثم قلت ما رأيت وإذا بكيانها ينقلب بلا رحمة، ها هي ذى تترجع حتى عن الخطوبة ذاتها، كانت خطوبتي هي سعادتها وسترى هو غاية أمانيتها، ثم ها هو ذا علاجي يصبح أولى مطالبها، هل حالتى خطيرة إلى هذا الحد؟، أو أنها صدقت حقيقة رؤيتي؟، هل تريد أن أحقق ما عجزتُ هي عن تحقيقه كما تقول فيكون فيه سعادتي سعادتها؟

مهما يكن من أمر فقد تورطت بالحديث معها، وتورطت أكثر بالذهاب إلى هذا الطبيب، لم أقوم كثيرا وادعيت أنى أذهب إرضاء لها، ومازلت أوصل تعاطى الورطة.

إننى أفهم أن تكون مهمة الطبيب أن يستأصل الزوائد المرضية، أن يخفف من حدة الآلام، هذا الرجل يزيد ما أصابنى من تضخم فى الرؤية، يريدنى أن أرى أكثر ويتركنى أتألم بلا رحمة، ثم أخيرا هو يحمّلنى مسئوليتها، هذا إجمام مستتير، مع سبق الإصرار، الحزن يلفنى من كل جانب، عمرى ألف عام، لم أعد أستطيع مزيدا من التعرى، أحس أنه لم يبق فى كيانى خلية لم يفتضح أمرها، بل إن كيان الآخرين أصبح لدى صفحة مفتوحة، كنت أحسب أن المصيبة مقصورة على أمى وأبى وأختى وزوجها ولكن يبدو أنها مصيبة عامة، أصبح الكذب والنفاق هو الأصل، ما هذا الذى يجرى بين غالى وملكة طول الوقت، أسمع النقاش المضحك بينهما، وبرج عقلى الطائر يسمع حقيقة ما وراءه واضحا لا لبس فيه ولا غموض، يتكلمان عن الاشتراكية وطحن الإنسان المصرى، برج عقلى الطائر يسمع أشياء أخرى؟، مرضى طريف يمارس الترجمة الفورية بشكل ساخر، يعرى كل الناس دون استئذان، يسمع الحوار "الأخر" بين أبراج عقول البشر، غالى وزوجته يتبادلان الحب فيتترجم حوارهما برج عقلى فوريا كما يلى:

[- كم أكرهك يا غالى.

= من القلب للقلب رسول، يا ملكة يا آكلة لحوم البشر.

- لن أتركك تتمتع بحريتك إلا على جثتى.

= وأنا سأستغلك حتى الشماله.

- أنا التى أمتص وجودك وأسجنك فى آرائك التى حسبت أنك تفرضها على.

= وأنا ألهيك فى مشاكل لا تخصك حتى أستمر فى العيش على حسابك.

- تضحك على نفسك وأنت مستسلم تماما.

= شكك كالبومة يا بنت الكلب.

- لن تتخلص منى حتى أزهرق وحك].

ومع ذلك أصر أنى لم أجن، هي ليست أصواتا أسمعها، هي رؤية كاملة، أسمع أصواتهم الحقيقية

كأنها تتحاور وأنا أرى هذه الصورة الأخرى وراء نقيق الضفادع الذى يتبادلونه، أصبحت قراءة

القسمات والخلاجات هواية مرعبة، نظرات فردوس الطبلوى تهتف بى كل مرة أن أكف عن المجئ،

امرأة طيبة متواضعة، ألغت شقاءها فى لحظة وانطلقت تتمتع بجسدها وزوجها "حسب التعليمات" كما

تصورتسها، يبدو أن عبد السلام يرفض هذا الذى حدث فجأة، يبدو أنه غير راض عن هذه السعادة

الرخوة، يبدو أنه ليس على بالها الآن إلا الدعة واللذة والمتعة، وتسميها تطورا، أم طيبة مازالت،

كانت خطوبتي هي سعادتها وسترى هو غاية أمانيتها، ثم ها هو ذا علاجي يصبح أولى مطالبها

هل تريد أن أحقق ما عجزتُ هي عن تحقيقه كما تقول فيكون فيه سعادتي سعادتها؟

هذا الرجل يزيد ما أصابنى من تضخم فى الرؤية، يريدنى أن أرى أكثر ويتركنى أتألم بلا رحمة، ثم أخيرا هو يحمّلنى مسئوليتها، هذا إجمام مستتير، مع سبق الإصرار

ترفض شقائى - وهى تتاديني - صامتة أن أكف عن المجئ، أحس أنى أكبر منها عشرات السنين، التعرى فى هذه المجموعة يلهب كل خلية فى وجودى ثم يتركنى معلقة بين السماء والأرض، علاج يعمق التناقض ويشعل الألم، فردوس ذات الأربعين تعيش سعادة الأطفال وأنا أعجز من أهل الكف، لو علمت يا أمى مايجرى هنا لراجعت نفسك وعملت على أن أوقف هذا العلاج، ترى لو كنت جئت بدلا منى هنا، هل كانت براعمك ستنتفتح من جديد مثل فردوس الطبلاوى، إذن لطلقك أبى بعد خمس دقائق، أو ربما سلمك للسراى الصفراء مع مخصوص، فردوس - رغم كل ذلك - ليست سعيدة كما ترسم نفسها، عبد السلام يأخذ منها وجه القشدة ثم يعيب عليها أن اللبن حامض، مختار لطفى يلتهمها على ما قسُم فهو لا يدع أنثى إلا ونادها نداء الصامت، موقف عبد السلام يحيرنى، ماذا يريد منها بالضبط، سمعته يقول لها مرة "من يضمن الاستمرار لو سلمنا لهذه السعادة السهلة، مازلنا على الأرض يا فردوس ولا بد للسعادة من أشواك تحميها حتى لا يقطفها عابر سبيل ثم يلقيها بعد بضعة خطوات"، يريد ضمانا مدى الحياة.

سمعهما برج عقلى الطائر يتحاوران ذات مرة، يقول عبد السلام:

"لا يمكن الاطمئنان لإنسان بلا أعماق".

ترد فردوس بحدّة:

"... من أين أشتري لى أعماقا حتى أعجبك".

أمره عجيب ومحير عبد السلام هذا.... الظاهر أن الحق معك يا أمى، والذى أول من سيرفض سعادتك، الرجال يرفضون سعادة النساء التملك، يخافون منها، عبد السلام مازال يواصل المسيرة، يبدو أنه مازال ينقصه شئ هام، شئ أساسى قد يسمح لعبد السلام أن يطمئن، ما أصعب كل هذا. أقرأ نداء أمومة فردوس بسهولة مباشرة: "قلبي عليك يا بسمّة يا حبة عيني". ماذا تريدين منى يا خالة فردوس، يبدو أننا تبادلنا الأدوار، أنت طفلة سعيدة وأنا عجوز أصابنى داء الحكمة، برج عقلى الطائر هو السبب، المسكنات اللذية ليس لها عمر يا فردوس، تصورى أننى أنا الذى أقول لك هذا وليس العكس، هذا هو ما يخيف عبد السلام منك، أنت وأمى وجهان لعملة واحدة، أنت ضائعة فى السعادة الرخوة، وهى ضائعة فى الشقاء المر الجاف، أزعم أننى أواصل علاجى من أجل أمى، إلى متى ينجح هذا التلاعب؟ لست أدرى، قد تكون فائدة حضورى إلى هنا أن تعتقد أمى أنى مريضة فعلا، فتنسى ما قلته لها يوما فى لحظة تهور أعمى، لن يرحمها من حقيقتها إلا إقناعها التدريجى بأن كل ذلك كان جنونا، أو تخريفا. يا رب سامحنى، ولا تحرمها نعمة العمى.

-5-

احتد الديالوج المرئى بين غالى جوهر وزوجته المقدسة ملكة، حتى دخلت طرفا ثالثا دون أن يسمح لى أو يدعونى أحد منهما، نظرات غالى لا تتركنى منذ عدة أسابيع، ماذا يريد منى؟، أحيانا تنتقل نظراته بينى وبين زوجته وكأنه يستنجد بى منها، أنا لا أريد أن أقلب كيانه أو كيانه مثلما فعلت بأمى. لو عملها عبد السلام وفردوس.... لو تم ما يجرى بين إبراهيم ونجوى، لو غامر كمال فتحمل مسؤولية فنه دون جنون أو انتحار، لو حدث كل ذلك، أو شئ من ذلك، فسوف ألقى بنفسى إلى الأتون مباشرة، أنا الأصغر، عندى وقت كاف أغير فيه تاريخ البشرية، أكاد أحمد الله أن شيئا من ذلك لا يحدث.

ماذا تريد منى يا أستاذ غالى؟، أنا أشفق عليك وأنت تضرب بجناحك فى قفصها المحكم، أكاد

العزى يلفنى من كل جانب،
عمرى ألفه عام، لم أجد
أستطيع مزيدا من التعرى،
أحس أنه لم يبق فى كيانى
خلية لم يفتضح أمرها، بل إن
كيان الآخرين أصبح لى
صفحة مفتوحة.

كنت أحسب أن المصيبة
مقصورة على أمى وأبى
وأختى وزوجها ولكن يبدو
أنها مصيبة عامة، أصبح
الكذب والنفاق هو الأصل

أقضم مفارك وأنت تلتقط ما تلقيه لك من حب، هل تريدني أن أفتح لك القفص؟، سوف تطير إلى قفص آخر فلقد نسيت قيمة الخلاء، أحيانا تطلق سراحك من قفص حبها إلى حظيرة مبادئ الحزب دون أى طيران خطر، جناحك أثقلهما الخوف وريشك مندوف أو لا بأول، تحبني يا غالى؟، أقرأ ذلك على وجهك ، كيف تصدق نفسك وأنت لا تعرف معنى الحب أصلا؟، المصيبة أنى أعبد من الجميلات، يحجزني هذا الجمال وراء تقاطيعي المتناسقة، فإذا أضيف إلى شكلي ما يتصورونه من رقتي وذكائي المزعومين، ضعت أنا بلا أمل في إنقاذ، لا أحد يعرفني أنا، وخصوصا أنت يا غالى.

عندك حق يا فردوس، ورطتي أكبر من كل تصور، كيف سأنزوح بعد كل هذه الرؤية، هل أنا التي ستتزوج أم برج عقلي الطائر؟، لا أنكر أنى أعلى بالرغبة، هذا الإلتحام مع آخر حتى الذوبان في كتلة واحدة من اللحم الذى يغلى باليقظة والنشوة يتمثل أمامي فى كل لحظة، لا أعرف سبيلا إليه، البضاعة المعروضة كلها بيع وشراء مع الاحتفاظ بحق المنفعة، لا أذع فى العلاقات الحرة المزعومة فهى أخبث من الزواج فى نظري، علاقات تشبه حجز ليلة فى فندق عام، الزواج عقد إيجار مفروش. استدرجت نادرا زميلي أمس إلى بوفيه الكلية لأقطع عليه أحلامه التي تتبعني فى كل مكان فى الكلية، لابد وأن يعرف أنى غير صالحة لما يدور فى ذهنه، عرض على الزواج فعلاً بسرعة ومباشرة طانا أنى دعوته لذلك، ابتمت وأنا أنظر إلى المنديل الورق الملقى بجوار فنجان الشاي، كانت بنود العقد التي كتبها برج عقله إياه، مكتوبة بوضوح عليه:

”عقد إيجار مفروش“: يعرض الطرف الرجولى المدعو ”نادر“ أن يقوم بتأجير الجسد الأنثوى - الذى تحتله الأنسة بسمه قنديل - معظم ليالى الشتاء وبعض ليالى الصيف، وذلك على أن يظل محجوزا له بقية أيام العام لحسابه الخاص، مقابل أن يقول أحبك ثلاث مرات يوميا لمدة ثلاثة شهور تتناقص بمرور الزمن ويمكن أن تزداد حسب الحاجة أو تنقص حسب الظروف، أو حسب التغيرات المناخية خاصة لو تعرض هذا الجسد للإتلاف أو العطب نتيجة لسوء الاستعمال.“

- فيم تفكرين يا بسمه؟

= أقرأ شروط العقد يا نادر.

- أى عقد تعنين؟

= أنظر إلى هذه النقوش على المفروش الورق.

- جميلة.

= خسارة أن نلقى به بعد استعماله.

- هو مصنوع لذلك، أفضل من الغسيل والمكوى.

= الاختراعات تتجه إلى الاستسهال، فتنتهك حرمة كل أصالة.

- حكمتك تخيفنى أحيانا يا بسمه.

= هل حاولت أن تقرأ معنى هذه النقوش يا نادر؟

أخذ مندبيله بين يديه يحاول أن يقرأ نقوشه فى بله عظيم، استمرت عيناي تتابع بقية بنود العقد فى

صمت.

“... على أن تقوم هى بتكاليف أكلها وكسوتها من مرتبها الخاص، حسب القوانين الحديثة لتحرير

المرأة“.

- لا أفهم ما تعنين، أعرف فكرة قراءة الفنجان، ولكن هذه أول مرة أسمع عن قراءة مناديل

الورق.... يبدو أن فى الأمر لغزا.

أنا التي أمتص وجودك
وأسجنتك هي آرائك التي
حسبت أنك تفرخها علي.
= وأنا أملكك هي مشاكل لا
تخطك حتى أستمري هي
العيش على حسابك

امرأة طيبة متواضعة، ألغيت
شقاها في لحظة وانطلقت
تتمتع بجسدها وزوجها "حسب
التعليمات" كما تصورتها،

= لا لغز ولا يحزنون، هأنذا أقرأ أمامك فحاول وسوف تجد السر،
 - سر ماذا، هذه نكتة، أنا أعرف سخريتك، هي أكبر من احتمالي الآن.
 = حاول ودعني أكمل.
 - تكملين ماذا؟
 = أكمل القراءة يا أخی.
 - سأصبر عليك حتى أفهم، هات.
 مضيت أقرأ بقية البنود فى صمت أيضا.
 “... كما يقوم السيد نادر، دون اعتبار لدرجة غبائه، بالاستيلاء على روحها تدريجيا، ويشترط أن تكف هي عن التفكير نهائيا قبل مرور خمس سنوات من إبرام هذا العقد.”
 - ماذا وجدت يا بسمة؟، تبدين وكأنك تقرئين شيئا مكتوبا فعلا.
 = فرصة عابرة أردت أن أسمح لنفسى أثناءها بالتفكير العميق فى عرضك الزواج.
 - ولكنك كنت منهكة جدا..حتى تفصد العرق من جبينك وأنت تبخلقين فى منديل الورق.
 = كانت شروطا صعبة.
 - أية شروط..؟
 = والمصيبة أن كل النساء يتقبلنها بترحاب شديد.
 - يتقبلن ماذا يا بسمة، لا تحيرينى.
 = يبدو أنهم يتقنّ التحايل لقدرتهن على التنفيذ لصالحهن.
 - ... هذا كثير..أكاد لا أتابعك.
 = أعرف أنك لا تحتمل شطحاتى.
 - للمزاح حدود، أنا لا أعرف عنك إلا الرقة والعقل والاتزان.
 = ما رأيك أن تتزوجهم.
 - أتزوج من؟
 = الرقة والعقل والاتزان.
 -... أنا أحبك يا بسمة.
 = أعلم ذلك، لكننى لست مستعدة للارتباط الآن، نظل أصدقاء إن شئت.
 - أنا أسف إن كنت قد ضايقتك باعتراضاتى، ولكنى لم أفهم.
 = لقد سرحت أكثر من اللازم وهذه غلطتى.
 - هل أنت مصممة؟
 = تماما.
 - قرار نهائى.
 = جدا.
 -... سأنتظرك ما حييت.
 = ما حييت؟ لا تطل الانتظار يا نادر وإلا فإننى سأتألم لك بلا داع .
 - أنا حر أنتظر كما أشاء ولا أريد الضغط عليك، عن إنك.
 عندك حق يا فردوس، ورطتى فى هذه السن أكبر من كل تصور، لابد أن أفقد الوعى قبل أن أوقع
 مثل هذا العقد، نجوى شعبان عجزت عن تنفيذ بنوده فهجرت زوجها وابنتها وها هي ذى تبدأ من

يبدو أنه خير راض عن هذه
 السعادة الرخوة، يبدو أنه
 ليس على بالها الآن إلا الدعة
 واللذة والمتعة، وتسميها
 تطورا

التعري فى هذه المجموعة
 يلهمه كل خلية فى وجودى
 ثم يتركنى معلقة بين السماء
 والأرض، علاج يعمق التناقض
 ويشعل الألم

جديد، يا ترى هل تستمر أم تعاود الكرة بوعى آخر يحميها من قراءة كل البنود بهذا الوضوح؟، نجح الأطباء فى إعادة الإبصار للعمى فلماذا لا يقوم طبيبنا هذا بإعادة العمى للمبصرين؟، ما زلت أذكر حديث نجوى مصباح، وأذكر كيف كان برج مخى يقرأ النسخة الأصلية وهى تظهر مكتوبة على ناحية بجوار حديثها الظاهر كأنها مجلة ميكى.

- لماذا كل هذا الحزن يا بسمه؟

= (أنا فخورة بك وبشجاعتك).

-.....

أنت رقيقة، فهلا اكتفيت بذلك ومضيت تسعين بشبابك.

= (ياك أن تصدقيني واستمرى فى طريقك).

.....

- أشفق عليك بصدق، أخشى أن تتسع رؤيتك أكثر

= (طريقك هو عين الحق.... صدقيني).

كنت أقبل صدق نصائحها، لكن يصلنى فى نفس الوقت تحذيرها أن أصدقها، كما كنت أحرص أن أتحدى فى إخبارها عن حقيقة ما يسمعه برج عقلى الطائر من داخلها، لم أكن متأكدة إن كانت سترجع إلى زوجها وابنتها أم ستواصل رفع الحجر بكفيها الداميتين إلى أعلى الجبل، تعلمت منذ حكايتي مع أمى ألا أقترب منهن أو أعلن محتوى الحوار المرئى أبدا. كمال يفهمنى بلا حديث، يبدو أنه يستطيع أن يقرأ الديالوج المرئى مثلى، فنان تدرّب على رؤية وتشكيل ما بعد الظاهر، أما عبد السميع، فالله يغفر لى إذ كدت أبصق عليه وهو ينتسج فى نقاش مع إبراهيم الطيب.

ما أصدرك يا إبراهيم وما أوسع صدرك.

-6-

= أنت معى يا كمال.

- بكل قلبى... وأنت تعلمين، مع أنك صغيرة، لكنك تعرفين كل شئ، أكثر من كل الذين هنا.

= اتفاننا فى الرؤية لا يطمئننى، هل رؤيتنا هى الصحيحة؟

- صحيحة... وصعبة.

= يعنى مستحيلة.

- ياليت.

= لا فائدة إنن.

- تقريبا.

= أنت فنان وتستطيع أن تصوغها فى رمز للمستقبل، أما أنا، أما نحن؟!!

- لم أعد فنانا ولا يحزنون.

= هل كتب علينا أن نهيم على وجوهنا بغير هدف؟

- لا شئ يعين.

= هذا كلام مزعج، ولا أحسب أنك تصدقه على طول الخط.

- هو مزعج فى البداية ولكنه مريح بشكل ما.

= ولماذا لم تسترح؟

لابد للسعادة من أشواق
تحميها حتى لا يقطعها حابر
سبيل ثم يلتقيها بعد بضعة
خطوات

أنت وأمى وجمان لعملة
واحدة، أنت ضائعة هى
السعادة الرخوة، وهى ضائعة
هى الشقاء المر الجاف

أنا أشفق عليك وأنت تضرب
بجناحك هى تقصصا المصم،
أحادي أقصص منكارك وأنت
تلتقط ما تلقيه لك من حبه

- فرشاتي جفت وسن قلمى قصف.

= وبعد؟

- أنا فى انتظار الفرشاة القلم.

= والحياة؟

- حياتى فيهما، أرسم المستقبل لمن يصنعه فيما بعد.... أرسمه لك يا بسمة.

= أنا؟

-..أى بسمة، هن كثيرات، لا أظن، دعيني أشك أنهن كثيرات.

= أنا فى أول الطريق.... أريد قدوة ، أتطلع إلى أى نجاح حتى أنجح مثله.

- تحمليين عبنا، يا بسمة فى هذه السن، حرام عليك نفسك، الحمل ثقيل جدا.

= تتكلم يا كمال مثل الطبيب، على كل واحد أن يحمل مسئولية قراره،... ولكنك أرق منه،

أتساءل أحيانا ماذا يعمل فينا هذا الرجل بكل هذا التخلّى وهو يشير إلى أن يفعلها كل منا على مسئوليته.

- أنا مرتاح لهذا التخلّى.

= أعلم ذلك.

- هو يتقدم بلا تردد لمن يقبل تدخله.

= أحيانا أراه يربط غالى فى عنق ملكة حين يحاول أن يطير منها.

- يبدو أنه يعرف أنها ندفنت ريشه فلم يعد يستطيع الطيران، ربما هو يخشى عليه.

= ما رأيك فيه يا كمال؟

- فى من؟

= فى شيخنا هذا؟

- أُعجِبُ بمهارته أحيانا، أعتبره فنانا ليس له علاقة بالطب والحياة.

= تمنيت فى بعض الأحيان أنى ولدت ابنته.

- حذار من الاعتماد عليه، وإلا فقدت نفسك.

= حاولت الاعتماد فعلا ولكنه راقد فى الخط، هل يوجد سبيل للالتفاف من باب آخر.

- بل هو أخفى مما تظنين.

= إن كان ثمة حب، فأنا أحبه.

- حذار يا بسمة، أنت تعرفين كل شئ، قد يشكلك على مزاجه..

= لا أبيع نفسى ولو للاله نفسه، ولا أستطيع أن أعيش وحيدة، وأنت جبان يا كمال.

- حرصى على حريتى لا مثيل له.

= هل ندفع ثمن هذه الرؤية التى ابتلينا بها: وحدة حتى الموت.

- يبدو ذلك، ما هذا يا بسمة، أنت صغيرة، لماذا تتكلمين عن الوحدة، والموت هكذا؟

= الموت أهون يا كمال.

- وأشرف، ولكنك صغيرة على كل هذا، كيف عرفت؟ هل جننت؟

= جائز، غالبا...

- أنت خبيثة، صغيرة.... لكن خبيثته، ورائعة.

ياليتنى تعلمت فنا أفرغ فيه شحنات هذه الرؤية حتى أعفى نفسى من معاينة الفشل المر على أرض

هل تريدنى أن أفتح لك القفص؟، سوفه تطير إلى قفص آخر هلقد نسيتَ قيمة الخلاء، أحيانا تطلق سراحك من قفص حبها إلى حظيرة مبادئ العزب دون أى طيران خطر

المصيبة أنى أمدد من الجميلات، يمجزنى هذا الجمال وراء تقاطيعى المتناسقة، فإذا أضيف إلى شكلى ما يتصورونه من رقتى وذكائى المزعومين، ضعت أنا بلا أهل فى إنقاذ، لا أحد يعرفنى أنا

ورطتى أخبر من كل تصور، كيفه سأتزوج بعد كل هذه الرؤية، هل أنا التى ستتزوج أم برج عقلى الطائر؟، لا أنكر أنى أخلّى بالرحمة

الواقع، كمال يفشل في أن يواصل رسم المستقبل فيحاول أن يتخلص من أُنقال الواقع ليجد نفسه متفرجا في عيادة فنان أخطر، نقاش إبراهيم مع عبد السميع يجذب انتباهي أحيانا ولكنني أتقزز من تشنج عبد السميع.

- = إبراهيم إنسان رائع يا كمال.
 - وعنيد، ولكن من يدري حقيقته وراء كل ذلك.
 - = لو نجح مع نجوى، فسأعلم أن كل شيء ممكن.
 - إنه يحاول النجاح مع كل واحد حتى مع عبد السميع.
 - = لا أطيق رؤية عبد السميع.
 - إصراره على المجئ بانتظام يغفر له عماه.
 - = عبد السلام صبور ومثابر.
 - ... ومناور كذلك... ولكنه قد يستسلم أخيرا لطبق القشدة.
 - = لا أظن، لو تم نجاحه مع زوجته فهي المعجزة بعينها،
 - أشفق عليه من أحلامه.
 - = ترى هل نستطيع أن نتكاتف لتحقيق نجاح واحد منا على الأقل.
 - لن أذع في التماس الدفء باقتراب خائف.
 - = أرفض بأسك وسوف أعلن التحدي.
 - تذكرى قول عمنا، القوة على أرض الواقع هي وحدها القادرة على قول "لا".
 - = تخاف يا كمال من نجاح أى آخر حتى تبرر عجزك.
 - وراء رقتك نَمِرَةٌ ذكية مفترسة يا بسمة.
 - = ووراء حكمتك ثعلب مراوغ عداء.
 - نزل أصدقاء.
 - = لتكن صفقه أشرف من عقد إيجار مفروش.
 - لا تبخلى على أحد بما يدور بخلدك.
 - = وماذا لو جرحته، فعلتها يوما مع أمى ومازلت نادمة.
 - عندك حَقك، لكنى عند رأيتى.
 - = ما أمكن ذلك...، ربنا يستر.
- 7-

لم أكد أعبر عن رأيتى فى عبد السميع بصدق مباشر حتى كان ما كان، لست أدري ما الذى دفعنى نحوه نائرة مفترسة هكذا؟! كرهت وجهه وصفرتة وهزة رأسه وإصراره على العمى وكلامه الشاحب عن الدين والطاعة بقدر ما شعرت بوحدته وحاجته لمن يكسره له، يبدو أنه لم يكن ينتظر ذلك، ومنى بوجه خاص.

لما انفجر كالبركان رُعبتُ وكأني فجرته بنفسى، أحسست أنى أنا التى انطلقت من داخله أحطم كل شىء، عاودتتى الشجاعة وساهمت فى ضبط حركته والحد من مضاعفات ثورته، نظر إليّ فى عتاب وألم لم أر مثلهما فى حياتى، شىء ما اهتز فى كياني حين أصر أن هذا هو كل ما يعرف من إحساس، رعبت رعبا هائلا من التماذى، تمنيت أن ترجع بى الساعة سنة كاملة إلى الوراء وأن يأتى هذا الخطيب الذى عرضته على أمى وأن أقبله فوراً، أحسست أنى على أبواب الجنون إن لم أكن قد

هذا الإلتجاء مع آخر حتى الذوبان فى كتلة واحدة من اللحم الذى يغلى بالليقطة والذشوة يتمثل أمامى فى كل لحظة، لا أعرفه سبيلا إليه

لا أذع فى العلاقات الحرة المزعومة فهى أخبث من الزواج فى نظري، علاقاته تشبه حيز ليلة فى فندق عام، الزواج عقد إيجار مفروش

نجع الأطباء فى إعادة الإبصار للعمى فلماذا لا يقوم طبيبنا هذا بإعادة العمى للمبصرين؟!

جنت فعلا.

من يضمن أى شئ بعد ما حدث الذى حدث، عبد السميع الأشرم آخر من كنت أتصور أنه قادر على النطق بما فى داخله، فعلها كالنمر الهائج، لماذا أحسّ نحوه بكل هذا الحب الغامر بعد أن كنت أصاب بالغيثان بمجرد أن أسمع صوته؟ أخذت ألوم نفسى على سابق احتقارى له، حين تمادى فى هياجه كالثور الأعمى لم تعاودنى رغبة الهزء به أو النفور منه، كل أعمى مهما بلغ عماه هو بصير ولكنه عاجز، حتى أنت يا أمى، الوحيد الذى لم يهتز ولم يتراجع أمام ثورة عبد السميع هو إبراهيم الطيب، ظل يواصل معه الحوار، ويحمله مسئولية العجز والتحطيم فى آن واحد، كيف ذلك يا إبراهيم، إرحمه وارحمنا يرحمك الله، كان أقرب وأقوى وأقدر من شيخنا نفسه.

لن أذهب بعد اليوم.. هذا فوق طاقتى وطاقة البشر أجمعين، وليذهب إبراهيم بإصراره إلى

الجحيم...

- لم تذهبي للعلاج منذ أسابيع يا بسمه.

= شفيت يا أمى والحمد لله.

- قلبى دليلى يا ابنتى، مازال المشوار طويلا، هل حدث منهم ما يكدرك؟

= قلت لك شفيت، وعندى دروس ولا داعى لضياح الوقت.... كفى ما كان.

- هل هذا هو الشفاء؟

= لست أدرى، فأنا لم أدر ما هو المرض حتى أعرف ما هو الشفاء، أنت تعلمين أنى ما ذهبت إلا

إرضاء لك، وهأنذا قد شفيت والحمد لله.

- لهجتك لا تدل على ما تقولين.

= ماذا تريد منى يا أمى؟ أنا ما طاوعتك أول الأمر إلا تكفيرا عن تهورى.

- هل حدث شئ يا ابنتى؟

= طبعا تحدث أشياء.

- ماذا بالله عليك؟

= بالذمة هل هذا كلام؟ لم أحك لك عن أى شئ من قبل، فماذا أحكى الآن؟

- أنا لم أسألك قبلا لأن الأمور كانت تسير.

= كانت تسير نحو الجنون.

- كفى الله الشر يا ابنتى، كان وجهك نضرا ونظراتك توحى بالأمل.

= ثم عقلت وتركت الأمل لأصحابه، وليس عندى مانع أن أتزوج اليوم قبل الغد.

- ظنى فى محله، دائما تذكرين حكاية الزواج هذه عند ما تسوء الأمور.

= لا تضطربينى يا أمى لما لا تعرفين، طاوعتك فى الأول حتى كان ما كان، فماذا تريد الآن؟

= تتكلمين بالألغاز وأنا لا أعلم شيئا من هذا الذى كان، كل همى أن أراك سعيدة

- وكان همك قبل ذلك أيضا أن ترينى سعيدة حين جئت لى بعريس الغفلة.

= أعمل ما أراه مناسباً فى كل وقت.

- ما أسهل تمنيات السعادة وما أصعب الطريق إليها، لا فائدة يا أمى، لا فائدة.

= تذكرين أنى قلت لك عن نفسى لا فائدة، وساعتها رفضت أنت استسلامى، وتريد منى الآن

أنا فى أول الطريق....
أريد قدوة ، أتطلع إلى أى
نجاح حتى أنجح مثله.

لا أبيع نفسى ولو للإله نفسه،
ولا أستطيع أن أعمش وحدة

هل ندفع ثمن هذه الرؤية
التي ابتلينا بها: وحدة حتى
الموت

ترى هل نستطيع أن نتكاتف
لتحقيق نجاح واحد منا على
الأقل

القوة على أرض الواقع هي
وحدها الفادرة على قول
"لا".

كرهته وجهه وصفوته وهزة
رأسه وإصراره على العمى
وكلامه الفاحش عن الدين
والطاعة بقدر ما شعرته
بوحده وحاجته لمن يكسره
له

أن أقبل هذا اليأس لك وأنت في هذه السن يا ابنتي؟

- ماذا تريد أن تقولى يا أمى، ماذا تريد منى؟

= لن يكون مصيرك هو مصيرى.

- نعم؟، نعم؟، أنت تقولين ذلك يا أمى؟، الآن؟، ألم يكن هذا هو بداية اختلافنا منذ شهر، أنت يا

أمى؟، ترفضين مصيرك في!

= قلت لك من الأول أدفع عمرى وتعالجين مما أنت فيه.

- مما نحن فيه..

لست وحيدة.

هذه العجوز بإصرارها وشجاعتها تخجلنى من نفسى، تخلت عن أنانيتي بعد أن لاح لها الأمل ولو

كان سرايا، الناس لا تستسلم اختيارا ولكنهم يقتلون الأمل أولا، أمى يا حبيبتي سوف أذهب وأصنعها

مهما طال الزمن.

= شئ ما فى داخلنا يظل ينبض بالحقيقة حتى طلوع الروح يا إبراهيم.

- عدت بالسلامة يا بسمة.

= عدتُ أطلب السلامة.

- كنت واثقا أنك ستعودين.

= عدت من أجل خاطر أمى، ربما بدلا عنها.

- بل من أجل خاطر ابنتك.

= عنيد أنت مثل النيل يحفر طريقه فى الصحارى وبين الجبال عبر آلاف السنين.

- لا جدوى من أى بطولة خارجك، إحثى عن النيل والشمس والجبال تجدونها فى الداخل.

= أطمئن لإصرارك ووضوح رؤيتك.

- صدق أمك وشجاعتها يطمئن جيلا بأسره.

= اضطرابات الطلبة تغرينى بالمساهمة، ولتكن المسئولية فعل يومى.

- على شرط أن تكتمل فى وعى شامل.

= خوفي من ثورة مثل ثورة عبد السميع ذلك اليوم حين انفجر كاللغم غير الموجه.

- يبدو أحيانا أنه لا مفر منها، أو مما هو مثلها، ربما تسمح بأن يراجع كل واحد قدرته وإحساسه

معا، ربما يكون ذلك مكافئ لتاريخ الثورات بمضاعفاتها.

= لا ضوابط للجنون ولا حدود للتخيم.

- أى شئ هو أفضل من الموت واليأس والضياع!؟

= تشجعتى على التشنج والصراخ.

- بل أحملك مسئولية التشنج والصراخ.

= حكمتك ترعبنى، تزيد طاقة شبابى ومسئولية شيخوختى فى ذات اللحظة.

- قانون الحياة واضح رائع.... لكنه كما تعلمين.

= لا سبيل غير ذلك، هربت من مسئولية أمى، ومسئولية بيت صغير هادئ، فوجدت نفسى أمام

مسئولية الناس جميعا.

- دون نسيان مسئولية وجودك شخصا بكل عبء العلاقات البسيطة العادية، لن أطمئن عليك حتى

- تتزوجي ويعلن انتصار الواقع جنباً إلى جنب مع استمرار الحلم.
- = أنت كالصقر اليقظ، كيف أهرب منك؟
- بل كيف تهربين من نفسك؟
- = وأنت؟، أنت هارب جلدك من بيتك وتلوح لنا طول الوقت بما فشلت فيه.
- لا أنكر مصيبتى، ولا أذع أحداً.
- = ماذا فعلت مع نجوى.
- تعرفين كل شئ...!
- = أقرأ الحوار الصامت.
- أعرف ذلك، وأطلب مساعدتك.
- = لا تَخَفْ منها... ألمها يحميها من تفكك فردوس الرخو.
- لست وحيداً ما دمت ترينى بهذا الكشف.
- = وأنا كذلك.
- من أين لك بكل هذه الحكمة فى هذه السن؟
- = ومن أين لك أنت بها؟
- من الوحدة، والهجر، والدعارة، والجنون، والإيمان.

كل أحمى ممماً بلغ عماء هو
بصير ولكنه عاجز

ما أسهل تمنيات السعادة وما
أصعب الطريق إليها

إرتباط كامل النص:

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD080718.pdf

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

ندوة تعاون عربية رقباً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

شعـن: انجازات اربعة عشرة عاماً من الخدم

(التأسيس العام 2000 الاطلاق على الويب العام 2003)

الكتاب السنوي الخامس

تحميل الكتاب

- التحميل من موقع " شبكة العلوم النفسية العربية "

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

اشترائات الخدمات فى اصدارات الشبكة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

خدمات الاعلان بالمتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=39&controller=category&id_lang=3



شبكة علوم النفس العربية

ندوة لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية
معاً ... نذهب أبعد